تاريخ الإرسال: 2020/1/19	تاريخ المراجعة: 2020/1/27	تاريخ القبول: 2020/6/01

من مظاهر المثاقفة اللغوية في الجزائر العثمانية: لغة الفرانكا أنموذجا.

Aspects of linguistic acculturation in Ottoman Algeria:

The Franca language as an example.

الدكتور فارس كعوان

جامعة محمد لمين دباغين سطيف.

الملخص:

لا يزال تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية بحاجة للمزيد من الدراسات التي تكشف عن مختلف جوانبه الغامضة، وقد ظل المجتمع بعيدا عن اهتمامات الباحثين رغم التفاعلات التي عرفها في تلك الفترة، والتي تمخض عنها في النهاية تشكيل مختلف المظاهر الثقافية التي لا زال بعضها واضحا للعيان اليوم، دون أن ندرك معناه الحقيقي، ولا الأسباب التي أدت لظهوره.

ومن المواضيع التي لها صلة بثقافة المجتمع تلك التي تدرس اللهجات وطريقة نشأتها والتحولات التي طرأت عليها، وقد لاحظنا أن اللهجة الجزائرية كانت عرضة لتأثيرات متوسطية كبيرة نظرا للاحتكاك الكبير الذي حدث في الفترة العثمانية بين شعوب ضفتي المتوسط، حتى أن لغة خاصة انتشرت بين التجار والقراصنة ثم استخدمها عدد من الحضر تدعى لغة الفرانكا كانت وسيلة يستخدمها هؤلاء للتواصل مع شعوب البحر المتوسط، وهذا هو الموضوع الذي نقترح دراسته في هذه الورقة البحثية.

الكلمات الدالة: المثاقفة اللغوية ،لغة الفرانكا ، الجزائر، العثمانيون،التواصل، البحر المتوسط.

Abstract:

The history of Algeria during the Ottomans era still needs further researches that will unveil the various unclear, hidden sides of this history. Society had remained far from the motivations of researchers despite the mutations that were known at that epoch. This resulted in the formation of different cultural phenomena; some of wich are visible nowadays without realizing neither their meaning nor the causes that led them to appear.

Among the themes related to the culture of the society that studies languages, their origins and the changes they underwent, we noticed that the Algerian dialect was subject to Mediterranean great influences due to the coexistence between the peoples of both the Mediterranean banks; as a result a particular, special language spread widely between the traders and pirates, then it was used by a number of city people which was called Lingua Franca language. It was a means that helped them to communicate with peoples of the Mediterranean Sea and this is the subject of our study in this research work.

Key words : Linguistic acculturation, Franca language, Ottoman, Algeria, Mediterranean Sea.

مقدمة الموضوع:

سمح الموقع الجغرافي للجزائر وارتباطها بالعديد من شعوب العالم وبالخصوص تلك المطلة على البحر الأبيض المتوسط إلى تأثيرات عميقة على ثقافة وعادات ولغة الشعب الجزائري والتي تراكمت عبر مختلف العصور. و في هذا المقال الذي يتناول مظاهر المثاقفة اللغوية في الجزائر العثمانية، سنحاول الكشف عن حجم التأثيرات التي أحدثتها لغة الفرانكا.

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج ظاهرة ثقافية عرفتها الجزائر في الفترة العثمانية لم تحض للأسف بدراسات كثيرة تميط اللثام عن مختلف جوانبها، وهي ظاهرة مرتبطة بالمثاقفة مع شعوب جنوب البحر المتوسط. ويختلف هذا الموضوع عن باقي المواضيع المتعلقة بتاريخ الجزائر خلال الفترة العثمانية في أن الدراسات الخاصة حوله قليلة جدا، عدا طبعا الدراسة الهامة التي قامت بها الباحثة الفرنسية من أصل تونسي جوسلين داخلية، وهي رغم دسامتها تبقى بحاجة للإثراء. كما أن سكوت المصادر المحلية في الغالب، يكاد يحيل الباحث لاعتقاد مفاده انعدام استعمال هذه اللغة، لولا بعض الإشارات التي ترد عرضا في تلك المصادر، وهذا يُعد عقبة أخرى في وجه من يتصدى لدراسة هذا الموضوع، وكشف مختلف جوانبه.

ولعل أبرز الصعوبات على الإطلاق ضياع عدد كبير من الوثائق والمخطوطات في بداية الاحتلال الفرنسي، وهو ما حرمنا من رصيد هام قد يكون وثّق لهذا الموضوع بطريقة غير مباشرة عبر إيراد مصطلحاتها في الوثائق الرسمية، خصوصا المتعلقة بالتبادل التجاري والقرصنة، وكان الشيخ المحقق محمد بن شنب قد وضع معجما للألفاظ الطليانية في العامية لكنه لم ينشر، فحرمنا بذلك من مصدر مهم، حيث عرف عن بن شنب التدقيق في بحوثه العلمية (الجيلالي، 1983: 41)..

وهو ما يطرح إشكالية أساسية تتعلق بحجم استخدام مفردات لغة الفرانكا في وسط المجتمع الجزائري. والذي يجرنا مجموعة من الأسئلة وهي: كيف حدثت عملية المثاقفة كيف انتشرت؟ و ما هي فئات المجتمع الأكثر تأثرا بالأمر.

وقد وظفنا في هذا البحث المنهج التاريخي لعرض ظروف ظهور لغة الفرانكا والفئات التي كانت تتحدثها والمنهج التحليلي لتحليل واستقراء ما جاء في المصادر.

أولا: لغة الفرانكا والمثاقفة التلقائية بين شعوب المتوسط في الفترة الحديثة:

تعتبر لغة الفرانكا مظهرا مهما من مظاهر المثاقفة التلقائية و" هي تلك التي تندرج في إطار التلاقحات الناتجة عن الحروب الناجمة عن الرغبة في الحصول على العبيد أو الاتصالات السلمية بواسطة التجارة." (السعداني، 2018: 85). وتعرف هذه اللغة باللغة الفرانكية أو الأصح الفرنجية (HOUDAS,1891 :126)، وتجمع أغلب القواميس التي رجعنا إليها لتحديد مفهوم دقيق لهذه اللغة أنها لغة لاتينية استعلمت في العصر الوسيط في أوروبا وخصوصا في فرنسا، وهي لغة تصفها المصادر بأنها خليط من عدد من اللغات من جنوب المتوسط، هي على الخصوص: الفرنسية والإسبانية والايطالية وبعض اليونانية الدارجة (ALLOU,1828 :52 -53). وقال مالتسان أن هذا الخليط اللغوي لا يكاد يتألف من غير اللغة الفرنسية والايطالية والاسبانية التي تنطق بصورة رديئة جدا، وبعض الكلمات العربية، وإذا أراد الإنسان تعلمها فإنه ليس في حاجة إلى بذل مجهود كبير فهي، لا تعرف القواعد النحوية كما أنها تتكون من كلمات في منتهى البساطة، ومفرداتها البسيطة عبارة عن مصادر لغات مختلفة، تستعمل لجميع الأشخاص، ولكل الأزمنة وأسماء وصفات فرنسية وايطالية وإسبانية لا تعرف غير صيغة الفاعل المرفوع وعدد من الحروف والضمائر وحر وف النداء تصلح إلا أن تكون نباحا إنسانيا أكثر من صلاحيتها لان تكون قسما من أقسام لغة من اللغات. (فون مالتسان، 2009: 95).

كان عدد من سكان المدن الساحلية لا يزالون يعرفون تلك اللغة ويتحدث بعضهم بها سنة 1830، وهي تختلف بين مدينة ساحلية وأخرى باختلاف اللهجات، ونسبة التعامل مع الأوروبيين وعددهم. والملاحظ أن هذه اللغة كانت تستخدم على نطاق محدود، وغالبا في المجالات التجارية فقط، ولم يكن لها قواعد منظمة فقد تجد كلمات لا تفرق بين مفردها و مثناها وجمعها، كما يختلف نطق الكلمة الواحدة من مدينة لأخرى، فكلما اتجهنا شرقا كان تأثير اللغة الايطالية واضحا وكلما ابتعدنا نحو الغرب كان تأثير اللغة الاسبانية أكثر. (Anonyme, 1830 : 01-02). وقد دخلت إلى هذه اللغة بعض المفردات العبرية بحكم تحكم اليهود في عدد من العمليات التجارية خصوصا في إيالات المغرب العثمانية، وكان هؤلاء يسمونها اللادينوLADINO. (سعد الله، 1996: 147).

وتقول الباحثة جوسلين داخلية أن لغة الفرانكا هي لغة فرضها الواقع الذي عرفته منطقة البحر الأبيض المتوسط منذ القرن السادس عشر، حيث انتشرت القرصنة وعمليات الأسر، وزاد التعامل التجاري بين المسلمين و

النصارى الأوروبيين، وبهذا فقد كانت هذه اللغة أداة التواصل الوحيدة والسهلة لمختلف التعاملات منذ تلك الفترة (DAKHLIA, 2008 :12-23).

ثانيا:عوامل انتشار لغة الفرانكا في بعض السواحل الجزائرية:

يلاحظ مما أورده الشيخ نور الدين عبد القادر أن لغة الفرانكا بدأت في الظهور بالاحتكاك مع الإسبان أولا منذ القرن السادس عشر فالكلمات الاسبانية التي أوردها وغيرها الكثير ممن لا زالت مستعملة إلى اليوم تؤكد هذا. (عبد القادر، 2006: 251).

وكان التواجد الفرنسي في بعض مناطق الشرق الجزائري عاملا آخر لانتشار هذه اللغة، فقد كان الفرنسيون سباقين للحصول على امتيازات تجارية في شرق الجزائر، حيث كانت بعض الشركات الخاصة تتحكم في تجارة المرجان، وتوسع نشاطها فيما بعد لتحتكر أيضا تجارة الحبوب، (الزبيري، 1980: 76) وكان التعامل مع السكان المحليين قد نتج عنه دخول عشرات الكلمات من لغة الفرانكا إلى اللهجة المحلية. (DAKHLIA, 2008 :45)

كما أن التواجد التجاري الايطالي الذي بدأ منذ العصر الوسيط عبر المدن التجارية الايطالية كالبندقية وجنوة وبيزا التي كثفت تعاملاتها التجارية مع دول المغرب(MASCARELLO: 1968:71) ، وفي الفترة الحديثة استمر ذلك التعامل التجاري تاركا أثره في هذا المجال عبر عدد من الكلمات التي تخص المجال التجاري والموانئ وبعض وسائل الصيد البحر(SACERDOTI, 1957: 291) . ويرى البعض أن لغة الفرانكا قد نشأت بسبب الاحتكاك الثقافي بين اليهود الأهالي والمسلمين بالأوروبيين، ونتج عن ذلك ميلاد خليط لغوي هو حوصلة لغات هذه الثقافات في القرنين 17 و18 لدى يهود الجزائر. (سعد الله، 1996: 147).

ومن بين العوامل المهمة لظهور هذه اللغة ارتفاع عدد الأسرى الأوروبيين في الجزائر، وتنوع لغاتهم، فقد كانت مدينة الجزائر تعج بعدد كبير من الأسرى الذين غنمتهم السفن البحرية ، وهم من جنسيات مختلفة فمنهم الايطاليون والإسبان والفرنسيون والانكليز والهولنديون واليونانيون وحتى الروس. (محرز، 2011: 161). وكان من بين عوامل انتشار هذه اللغة في مدينة الجزائر على الخصوص تعدد لهجات ولغات سكان المدينة، فقد تراجعت العربية كثيرا، لتظهر لغة خليط من عدد من اللغات وكانت متداولة بين الأسرى العبيد من المسيحيين

ومن المعتنقين للإسلام من أولئك العبيد أو بين الذين تحرروا بعد أن صاروا أتراكا وهم العلوج (حليمي، 1972: 150).

انتشرت هذه اللغة وسط مجموعات رئيسية هي: البحارة وموظفي الموانئ، والتجار، واليهود والحكام الأتراك، وحتى بين بعض الحضر، ويؤكد Pananti قوله: "الموظفون العموميون والتجار واليهود في الساحل يتواصلون بينهم بواسطة لغة الفرانكا المشكلة بغموض من الإسبانية والايطالية وعربية سيئة ، وبما أن الأفعال في هذه اللغة تصاغ بصيغة المصدر ولا توجد مطلقا حروف الجر، فهذا جعل الأجانب والسكان المحليين يتمكنون من فهمها." (PANANTI, 1820 : 377).

ثالثا: الفئات التي كانت تستعمل لغة الفرانكا في الجزائر العثمانية:

1. البحارة وموظفو الموانئ:

كان البحارة وموظفو الموانئ ممن يستعملون هذه اللغة بشكل اعتيادي، وقد كان الرياس يعرفون باسم آرمادور armadours بلغة الفرانكا حسبما روى روتاليي في كتابه (DE ROTALIER, 1841 :302). في القرن السابع عشر كانت هذه اللغة منتشرة كثيرا في السواحل الجزائرية وشائعة الاستعمال وتستخدم وسيلة للتفاهم بين أهل الجزائر و التجار الايطاليين و الإسبان والفرنسيين.وقلما يمر المرء بميناء الجزائر وأسواقها دون أن يسمع كلمات من هذا النوع تعبر عن أشياء كثيرة. (فون مالتسان، 2009: 95). وقد وصف الأب دان هذه اللغة بأنها لغة سهلة ومضحكة تتشكل من بعض الكلمات الفرنسية والايطالية والاسبانية (DAN, 1637 :111).ويؤكد أحد الأسرى الهولنديين سنة 1816 وهو ممن الذين لم يستخدموا هذه اللغة ويعتقدون أنها لغة ايطالية، أن البحارة الجزائريين كانوا يتقنون هذه اللغة ويتحدثون بها مع غيرهم من بحارة المتوسط (ميتزون، 2011: 13). ويعود هذا الأسير في موضع آخر ليقول أن المسؤول التركي عن الميناء جاء إليهم وسألهم بالايطالية (ميتزون، 2011: 23)، واعترف هذا الأسير الهولندي أن الأتراك كانوا يتحدثون معهم بلغة يجهلها، ولا نظن أنه يقصد اللغة التركية فهي واضحة لأي أوروبي، وإنما قصده هنا لغة الفرانكا (ميتزون، 2011: 34-35). ويؤكد أسير نرويجي هذا الطرح حين قال عن بحارة سفينته، أنه حين تم اسر السفينة من أتراك الجزائر:"سمعوا لغة مختلفة عن لغتهم ولم يفهموا منها شيئا" (نيلزون موس، 2019: 62).

2. التجار:

كان من الطبيعي أن تنتشر هذه اللغة وسط فئة التجار نظرا لاحتكاكهم الكبير مع الأوروبيين، وخاصة في أسواق مدينة الجزائر، فقد استعملت في الوسط التجاري عدة كلمات أجنبية ، ومن بين هذه الكلمات ما ورد مثلا عند الشويهد في القرن الثامن عشر، فالبائعون مثلا كانوا يعرفون بـ: الفاندي ومنها الكلمة الفرنسية Vendeur (الشويهد، 2006: 67)، كما أطلق على مجموعة من السلع تتجاوز العشرة اسم الدزينة من الفرنسية Dizaine وحُوّرت في العامية إلى لفظة طُزّينة بالطاء (الشويهد، 2006: 103)، كما وردت في بعض المصادر كابن حمادوش بلفظ تزينة وجمعها تزينات عند حديثه عن بضاعة الشاشية التي كانت لديه عند وصوله لميناء تطوان (إبن حمادوش الجزائري، 1983: 32). كما أن بعض الأحجار الثمينة قد عرفت أسماؤها عند التجار وغيرهم بلغة الفرانكا دون سواها، فقد كان الألماس مثلا معروفا باسم اليامنط وهي مأخوذة من الكلمة الايطالية .(EIDENSGENK et COHEN-SOLAL,1897,227) وذكر أحد الفرنسيين في بداية الاحتلال وهو أريستيد قيلبيرAristide Guilbert أنه كان يتردد كثيرا على دكاكين الحرفيين بمدينة الجزائر وكان عدد كبير منهم يتحدث لغة الفرانكا معه(GUILBERT,1839 :439) .

3. اليهود:

كان بعض اليهود يستعملون هذه اللغة، نظرا لإتقانهم بعض اللغات الأوروبية، فيهود ليفورنة كانوا من أبرز الناشطين تجاريا في البحر المتوسط، وتمكن هؤلاء حتى من إدخال كلمات عبرية لهذه اللغة، وكانوا يستخدمون مفردات منها في عد أيام الأسبوع مع لغتهم العبرية(GOMOT, 1842 :27). وكان اليهود من أكثر الفئات استخداما للغة الفرانكا بحكم تحكمهم في المعاملات التجارية مع الأوروبيين، فقد أوردت الباحثة عائشة غطاس قائمة من التجار الجزائريين الذين كانوا يتعاملون مع التجار الفرنسيين وكان غالبيتهم من اليهود، فمن بين ثمانية عشر تاجرا وردت أسماؤهم نجد ثلاثة فقط من الجزائريين أو الأتراك والباقي وهم خمسة عشر تاجرا كلهم من اليهود. (غطاس، 1985: 148).وذكر تيدنا Thedenat عام 1785 أن أحد التجار اليهود قام بشرائه بمبلغ سبعون ريالا، وكان ذلك اليهودي يتكلم قليلا لغة الفرانكا.(تيدنا، 2003: 47).

4. الطبقة العثمانية الحاكمة:

لم يكن غريبا أن يكون عدد من حكام الجزائر ممّن يتقنون الحديث بهذه اللغة، فبعضهم كانت أصوله أوروبية وبعضهم الآخر كان في البحرية وتعامل مع هذه اللغة أثناء الغزوات البحرية ضد الأوروبيين (DAKHLIA, 2008: 97). وقد تولى حكم الجزائر عدد من العلوج ممن كانت لغتهم الأصلية أوروبية وبالتالي ليس من المستبعد أن تكون الفرانكا لغة التواصل بينهم وبين باقي الأوروبيين، فقد كان حسن آغا الذي حكم الجزائر بين 1535-1541 من العلوج وأصله من سردينيا، كما حكم الجزائر سنة 1556 علج من كورسيكا هو حسن قورصو، وتولى حكم الجزائر أيضا أشهر علج في تلك الفترة وهو العلج علي الذي حكم بين 1568 – 1571 (BOYER,1985 :94-95).

وأشارت بعض المصادر إلى إلمام عدد من الحكام العثمانيين بلغة الفرانكا وذلك لحاجتهم للتعامل بها مع الأوروبيين، فقد جاء في مذكرات الأسير تيدينا أن باي معسكر محمد الكبير كان يتكلم معه باللغة الفرانكية، و كان إلى جانبها يتقن كلا من الاسبانية والايطالية التي يجيدها تماما وفضل الحديث معه بها (تيدنا، 2003: 54–55). وكانت بعض ألفاظ هذه اللغة ترد حتى في المراسلات الرسمية، ففي النص العربي لمعاهدة 14 جوان 1813 بين الجزائر والبرتغال وردت عبارة من لغة الفرانكا هي الباصبورط التي تقابلها كلمة Pasaportes في النص البرتغالي (زوزو، 1981: 36). وفي تقرير أرسله احد الجواسيس الإسبان إلى الباشا حسين آخر دايات الجزائر في شهر مارس 1830 وردت عبارة" القازيطات" وهي عبارة مأخوذة من الكلمة الايطالية Gazzetta والتي تعني الجريدة (BRESNIER, 1857 : 138). وكان بعض الأسرى يتقن الفرنسية والاسبانية للتمكن من التواصل مع الحكام الأتراك عبر لغة الفرانكا كما كان الأمر مع قنصل أمريكا أسير داي الجزائر. (ليندر كاثكارت، 1982: 31).

5. الحضر:

بحكم التعاملات التجارية مع الأوروبيين كان عدد من حضر الجزائر يتقن لغة الفرانكا ويستخدمها وسيلة للتواصل مع الأوروبيين. وقد دخلت عدد من كلمات هذه اللغة إلى اللهجة العامية الجزائرية، فهابنسترايت مثلا

يقول أن سكان مدينة الجزائر كانوا يدعون الأطباء بالبربيرو Barbiero وهي كلمة من لغة الفرانكا تعني المشتغل بالطب أو المداوي بالأعشاب.(هابنسترايت، 2008: 23).

ويقول باناني Pananti أن لغة الفرانكا كانت لغة التواصل بين السكان وكل الأوروبيين نظرا لسهولتها (PANANTI, 1820 : 294) ويؤكد شالر هذا حين يقول أن" لغة التواصل بين الأجانب والمحليين هي لغة الفرانكا"(SCHALER, 1830) . ويضيف باناني أن لغة الفرانكا في الجزائر هي أقرب للايطالية (PANANTI, 1820 : 599)، وهذا ربما راجع لقدم التعامل مع الدويلات الايطالية الذي يرجع إلى العصر الوسيط. وكتب الشيخ نور الدين عبد القادر عن تأثير لغة الفرانكا قائلا:

> "وفي مجال الحديث عن لهجة الجزائر الدارجة فإننا نضيف المفردات الإفرنجية التي دخلت إليها ونجد بعضها في نص غزوات عروج وخير الدين مثل كلمة ضبلونDabalon وهي كلمة اسبانية تدل على الدينار المصنوع من الذهب وجلنار أي جنرال وسقالة وهي كلمة ايطالية أي الرصيف بمعنى الطريق المبلطة بالحجارة على ساحل البحر وأيضا السلم للصعود والهبوط من السفينة"(عبد القادر،2006: 251).

ومن بين أولى الكلمات المأخوذة من لغة الفرانكا وليس من الفرنسية كما كان يعتقد، الاسم الذي أطلق على خير الدين بارباروس barba اللحية و Roussa وتعني الحمراء وورد اللفظ بصيغة بربروشة في بعض المصادر كالزهرة النائرة وهو مصدر تاريخي يعود للقرن الثامن عشر(بن رقية التلمساني، 2017: 105). وشنيور وهو السنيور بمعنى الشريف النسب والرئيس وهذه الكلمة أصلها لاتيني، ولنبرادور كلمة اسبانية معناها القيصر، وفرقاطة بالقاف المعقودة وهي كلمة إفرنجية وتدل على نوع من السفن الحربية، وباسبورط كلمة إفرنجية بمعنى الإذن للسفر وهناك غيرها "(عبد القادر،2006: 251). ومن أشهر الكلمات التي لا زالت مستعملة إلى اليوم بتحوير بسيط لفظة الاسبيطال التي تلفظ اليوم بصيغة سبيطار، وهي من لغة الفرانكا وتعني المستشفى Hôpital ومنها عبارة فراير متاع لسبيطال التي وردت عند الشويهد بمعنى الرهبان المنتمون لمنظمة الإخوان البيض القائمون على خدمة المستشفى (الشويهد، 2006: 106). ووردت هذه الكلمة أي اسبيطال عند ابن رقية التلمساني في قوله:"أن الملاعين اخرجوا إلى اسبيطال قرطاجنة ألفين وثلاثمائة من المجاريح"(بن رقية التلمساني، 2017: 152).

ووردت في كتاب الشريف الزهار عدد من الكلمات من لغة الفرانكا منها: الأرمادة وهي كلمة اسبانية armada معناها الأسطول البحري (الزهار،1974: 30)، ووردت عنده لفظة الراية بصيغة البنديرة Bandera

وهي لفظة اسبانية حيث قال :" وكان جنس المنامسة" أي النمسا" قد بدل بندريته وجعل بنديرة أخرى." (الزهار،1974: 73). كما وردت أسماء السفن مأخوذة عن هذه اللغة بقليل من التحريف على النحو التالي: كالنجور وهو نوع من الزوارق البحرية (الزهار،1974: 31)، والفركاطة وهي Fregata و الكربيط Corvette وغيرها من أسماء السفن، (الزهار،1974: 73) ووردت لفظة الحصار البحري عند الزهار بصيغة بلونكو وهي مأخوذة من الايطالية Blocco (الزهار،1974: 168).

وجاء في كتاب البارون جوشرو دي سانت دونيسBaron Juchereau de Saint Denis سنة 1831 أن حضر الجزائر كانوا يطلقون اسم اصبانيولاطة وهي كلمة من لغة الفرانكا على كل حملة أوروبية فاشلة على الجزائر، وهذا بسبب فشل الحملات الاسبانية المتكررة على إيالة الجزائر (JUCHEREAU, 1831 : 112). ولما زار الرحالة الألماني فيلهلم شيمبر Wilhelm Schimper الجزائر في سنة 1831 لاحظ أن لغة الفرانكا يتحدث بها الغالبية من الحضر(دودو، 1989: 14).

كما يخبرنا الأمير الألماني بوكلير موسكاوPuckler Muskau سنة 1835 أنه دخل حمّاما في مدينة الجزائر والتقى فيه بأحد العاملين وهو شاب قوي في السادسة عشر من عمره يتكلم بعض الكلمات المشوهة من لغة الفرانكا، ويذكر أن ذلك الشاب سأله بتلك اللغة إن كانت نوعية خدمته قد أعجبته قائلا : Fa bono أي هل هي حسنة؟.(MUSKAU, 1837 : 174-175).

ويؤكد نابوليون روسيلNapoléon Roussel " 1840" استمرار بعض حضر الجزائر في استعمال هذه اللغة الغريبة التي قال أنها تساعدهم في كل الأمم الأوروبية لسهولتها (ROUSSEL, 1840 : 70).ويحدثنا فون مالتسان عن أحد حضر مدينة الجزائر وهو الحاج محمد بن بونار وكان رجلا " أشيب اللحية نحيلا جدا، ولكن مظهره كان يوحي بالاحترام والإكبار له ، وكان يتكلم قليلا من الفرنسية غير أنه كان متمكنا من اللغة الفرنجية التي لا يتطلب تعلّمها مشقة كبيرة".

وذكر مالتسان بعض الأمثلة من كلمات هذه اللغة التيكانت متداولة بين الجزائريين، وهي كلها بصيغة مصدرية منها: scribir التي تعني كتب، و bibir التي تعني شرب ، و chabar التي تعني اخذ و andar وتعني ذهب، و marchar وتعني مشى(فون مالتسان، 2009: 95). ومن الكلمات التي كانت مستخدمة في مدينة الجزائر كلمة لوكاندة المراد بها المرقد وقد أخذت من الكلمة الايطالية locanda، وكلمة الموزيكة المأخوذة أيضا من

الإيطالية Musica (PAULMIER, 1850 : 59) وكلمة قريطة المأخوذة من البرتغالية Carretta التي تعني العربة (PAULMIER, 1850 : 123)، وكلمة البومبة التي كانت تتردد في جل المصادر العربية لتلك الفترة وهي مأخوذة من الاسبانية Bomba (PAULMIER, 1850 : 84) وكلمة تبرنة التي كانت تطلق على الحانة وهي مأخوذة من الكلمة الإسبانية Taberna (PAULMIER, 1850 : 59).

رابعا.بقايا لغة الفرانكا في العامية الجزائرية:

وضع الفرنسيون قاموسا هاما للغة الفرانكا في شمال إفريقيا وسارعوا لنشره بمارسيليا سنة 1830 ، وقال واضعوه أن هذه اللغة التي كانت منتشرة على الخصوص في تونس والجزائر، وأن الفضل في نشأتها وانتشارها يرجع أساسا إلى الأسرى الأوروبيين (Anonyme, 1830 : 01-03)

يضم القاموس المذكور عددا كبيرا من الكلمات مع شرحها بالفرنسية، وقد لاحظنا أن قسما كبيرا من تلك الكلمات قد اندثر اليوم، وما بقي منها تحرّف ولم يُدرك الناس معناه الحقيقي. اخترنا من هذا القاموس عددا من الكلمات الشائعة في الدارجة الجزائرية بمختلف لهجاتها، مع تقديم شرح لهذه الكلمات واللغة التي اشتقت منها الكلمة على النحو التالي:

نماذج من كلمات لغة الفرانكا التي لا يزال عدد منها متداولا في الجزائر إلى الآن:

الكلمة بلغة الفرانكا:	معناها:	اللغة المأخوذ عنها:	النطق العامي للكلمة:
Pistola	المسدس	Pistola " ايطالية"	بشطولة
Noumero	العدد أو الرقم	Noumero " يونانية"	النومرو
Tassa	الكوب الكبير	Tassa " ايطالية"	الطاسة
El sala	القاعة	El sala " اسبانية"	الصالة
El tupsi	الصحن	El tupsi " اسبانية"	الطبسي
Souma	السعر	Somma" ايطالية"	السومة
Compania	الشركة	compania" رومانية من رومانيا"	كوبانية

الكلمة بلغة الفرانكا:	معناها:	اللغة المأخوذ عنها:	النطق العامي للكلمة:
Tromba	الحقنة	Tromba " ايطالية"	طرومبا
Soupa	الحساء	Soupa " يونانية"	سوبا أو الصوبا
Casserola	قدر الطعام	Casseruola " ايطالية"	الكاسرونا
Pipa	الغليون	pipala" اسبانية"	البيبا بالباء المفخمة p
Platza	المكان	Plaza" اسبانية"	البلاصة
Carta	الوثائق	Carta" ايطالية"	الوثيقة وصارت تطلق بالجمع الكواغط أو الكوارط بمعنى الوثائق.
Fantazia	الكبرياء	Fantazzia " ايطالية"	الفنطازية تطلق على استعراضات الخيول في الغرب الجزائري .
Negro	الأسود أو الزنجي	Negro " اسبانية"	النيغرو
Marmita	إناء خاص بالطعام	Marmita "برتغالية"	المرميطة
Marka	علامة	Marca " اسبانية"	ماركا
Mercanté	تاجر	Mercanté " ايطالية"	موركانتي
Guerra	الحرب	Guerra " اسبانية"	القيرة
Gousto	الذوق	Gousto "يونانية"	القوسطو
Forno	الفرن	Forno " ايطالية"	فورنو

الكلمة بلغة الفرانكا:	معناها:	اللغة المأخوذ عنها:	النطق العامي للكلمة:
Francis	الفرنسيون	Franzis " اسبانية"	فرانسيس
Falso	خطأ	Falso " اسبانية"	فالصو
Falta	فسد	Falta " اسبانية"	فلطة وتستخدم بصيغة فعل في الغالب فيقال فلط وفلطت بمعنى افسد
Cousina	مطبخ	Cucina " ايطالية"	كوزينا
Caréta	عربة كر	Caretta " اسبانية"	كاريطا
Bareta	قبعة	Bareta " اسبانية"	باريطا
Chieco	الأعمى	cieco "ايطالية"	تشيكو هو لقب تحمله بعض العائلات القسنطينية وكان يعتقد أن أصلهم من التشيك لكن هذا مستبعد
Beraca	الكوخ	Baraca " اسبانية"	براكة والجمع برارك تطلق على البيوت القصديرية

المصدر: صفحات مختلفة من الكتاب:

Anonyme, Dictionnaire de la langue franque ou petit mauresque, suivi de quelques dialogues familiers et d'un vocabulaire de mots arabes les plus usuels, à l'usage des Français en Afrique, Typographie de Feissat, Marseille ; 1830.

والملاحظ من خلال الجدول أن هذه الكلمات التي كنا نعتقدها من تأثير اللغة الفرنسية على العامية الجزائرية قد انتشرت في غالبية اللهجات الجزائرية شرقا وغربا، ولهجات الساحل خصوصا عنابة شرقا ووهران غربا،

والتي لا زالت تحتفظ بالكثير من الكلمات الأخرى المأخوذة من لغة الفرانكا، ولم نشأ ذكرها مكتفين بذكر أكثر الكلمات انتشارا في مختلف اللهجات الجزائرية.

خاتمة:

في ختام هذا المقال نخلص إلى أن عرفت الجزائر في الفترة العثمانية استعمال بعض اللغات إضافة إلى اللغة العربية التي تراجعت مكانتها، وهذه اللغات هي اللغة العصمانلية ولغة الفرانكا. بدأ انتشار لغة الفرانكا نتيجة التعامل التجاري مع الأوروبيين، ولم يقتصر استعمالها على الأوروبيين والبحارة الأتراك بل انتشرت حتى بين التجار وبعض الحضر نتيجة الحاجة الملحة للتواصل مع التجار الأوروبيين في البحر المتوسط.

تميزت لغة الفرانكا في الجزائر بالسهولة والبساطة حتى أنها صارت لغة التواصل المفضلة عوض اللغة العصمانلية الصعبة. وبعض الكلمات التي كنا نعتقد أنها كلمات دخلت لهجتنا من اللغة الفرنسية بعد الاحتلال، ما هي إلا كلمات من لغة الفرانكا وهي قديمة الاستعمال وأسبق من الاحتلال الفرنسي. وساعد وجود كلمات لغة الفرانكا الفرنسيين على نشر كلمات أخرى فرنسية صارت جزءا مهما من الدارجة الجزائرية وخصوصا في المدن الساحلية حيث طغيان المفردات ذات الأصل الفرنسي وبالمقابل نجد أن اللهجة الجزائرية كانت تزداد نقاء كلما ابتعدنا عن السواحل وتوجهنا جنوبا.

المصادر و المراجع:

المؤلفات بالعربية :

1. ابن حماد وش. لسان المقال أو الرحلة ، تحقيق أبو القاسم سعد الله، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1983.
2. بن رقية التلمساني ، عبد الرحمن. الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، ضبط النص وعلق عليه: خير الدين سعيدي، ط1. الجزائر: أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017 .
3. تيدنا.مذكرات أسر، ترجمة وتقديم حميدة عميرواي. الجزائر: دار الهدى عين مليلة،2003.
4. الجيلالي، عبد الرحمن. محمد بن أبي شنب حياته وآثاره. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت)، 1983 .
5. جيمس، ليندر كاثكارت. مذكرات أسير الداي قنصل أمريكا في المغرب، ترجمة إسماعيل العربي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1982 .

6. حليمي، علي عبد القادر. مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل عام 1830، ط1. الجزائر: المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، 1972.
7. دودو، أبو العيد. الجزائر في مؤلفات الر حالين الألمان. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.
8. الزبيري، محمد العربي. التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1791 – 1830 . الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1980.
9. الزهار، أحمد الشريف. مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد ، 1974 المديني. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1974.
10. زوزو، عبد الحميد. مجلة التاريخ، معاهدة سنة 1813 بين الجزائر والبرتغال. مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1981.
11. سعد الله، فوزي. يهود الجزائر هؤلاء المجهولون. الجزائر: دار الأمة، 1996.
12. السعداني، خليل. مساءلة مفهوم المثاقفة، مجلة المنهل، ع 01، مارس 2018 .
13. الشويهد ،عبد الله. قانون أسواق مدينة الجزائر. تحقيق: ناصر الدين سعيدوني، ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2006.
14. عبد القادر، نور الدين. صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي. الجزائر: دار الحضارة، 2006.
15. غطاس، عائشة. العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر " 1619- 1694 " رسالة ماجستير في التاريخ الحديث. الجزائر: جامعة الجزائر، 1985.
16. فون مالتسان، هنريش. ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا. ترجمة أبو العيد دودو. الجزائر: دار الأمة، 2009.
17. محرز، أمين. الجزائر في عهدالبصائر،1659 – 1671 . الجزائر: دار البصائر ،2011.
18. ميتزون، ج. يوميات أسر في الجزائر، ترجمة: محمد زروال. الجزائر: دار هومة،2011.
19. نيلزون موس، نيلز. أسير نرويجي في مدينة الجزائر"1769 _ ، 2019" ترجمة وتعليق: لخضر بوطبة. الجزائر: البدر الساطع للطباعة والنشر،2019.
20. هابنسترايت. رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس. ترجمة وتقديم وتعليق:ناصر الدين سعيدوني، ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2008 .

المؤلفات بالفرنسية:

1. ALLOU, C.N. Essai sur l'universalité de la langue française. Paris : Firmin Didot, 1828.
2. Anonyme. Dictionnaire de la langue franque ou petit mauresque, suivi de quelques dialogues familiers et d'un vocabulaire de mots arabes les plus usuels à l'usage des Français en Afrique, Typographie de Feissat, Marseille : 1830.
3. BRESNIER. Chrestomathie arabe, 2e éd. Alger : Bastide Libraire Editeur, 1857.
4. DAKHLIA, Jocelyne. Lingua Franca : Histoire d'une langue métisse en Méditerranée. Paris : Actes Sud, 2008.
5. Dan, Pierre. Histoire de Barbarie et de ses corsaires, 2e éd. Paris : P .Rocodet, 1637.
6. DE ROTALIER, Ch. Histoire d'Alger et de la piraterie des turcs dans la Méditerranée. Paris : Paulin Libraire-éditeur, 1841.
7. EIDENSCGENK et COHEN-SOLAL. Most usuels de la langue arabe. Alger : Typographie Adolphe Jourdan, 1897.
8. GOMOT, F. Annuaire de l'Algérie 1842. Paris : Victor Magen Editeur, 1842.
9. GUILBERT, Aristide. De la colonisation du l'Afrique. Paris : Paulin Libraire- Editeur, 1839.
10. HOUDAS, O. Chrestomathie maghrébine. Paris : Ernest Leroux, 1891.
11. JUCHEREAU, Baron de Saint Denis. Considérations statistiques, historiques, militaire et politique sur la régence d'Alger. Paris : Delaunay Libraire, 1831.
12. MASCARELLO, Anna. Quelques aspects des activités italiennes dans le Maghreb médiéval. Revue d'histoire et de civilisation du Maghreb, n° 5, juillet 1968.
13. PANANTI, Relation d'un séjour à Alger. Paris : Normant ,1820.
14. PAULMIER, A.D. Dictionnaire français-arabe : Idiome parlé en Algérie. Paris : Librairie Hachette, 1850.
15. PUCKLER. Muskau. Semilasso in Africa: Adventure in Algiers and other parts of Africa, London: Richard Bentley, 1837.
16. ROUSSEL, Napoléon. Mon voyage en Algérie. Paris : Risler, 1840.
17. SACERDOTI, A. Venise et les régences d'Alger : Tunis et Tripoli 1699– 1764. In Revue Africaine 1957.
18. SHALER, William. Esquisse de l'Etat d'Alger, trad. M.X. BIANCHI. Paris : Librairie Ladvocat, 1830. BOYER, Pierre. Les renégats et la marine de la Régence d'Alger. In : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée. n°39, 1985.